المجتمع المغربي والمعرفة التاريخية

تصورات ومنطلقات

اعداد :وليد موحن :طالب باحث في سلك الدكتوراه /جامعة الحسن الثاني المحمدية

على سبيل التقديم :

لقد بلغت عدة دول مرامي عظمى في مناحي الاهتمام بالتاريخ والتراث الذي ينير جنباتها ،ودرجة الاهتمام به وتوظيفه كألية من اجل التنمية ،وينطلق ذلك من خلال الاهتمام بهذا الحقل المعرفي ،ونشره وبثه في صفوف العامة والخاصة.

ان المعرفة التاريخية ودرجة حضورها في المجتمعات الكونية ،وسيلة أساسية لتطور والازدهار في كافة المجالات والحقول فمن الشأن الاهتمام بها انتاج مجتمع يتسم بالرقي والمعرفة يساهم جنبا الى جنب مع باقي الحقول الاخرى في صياغة وبلورة النماذج الناجحة والروافع التنموية .

وفي المجتمع المغربي تحفل المعرفة التاريخية بمجموعة من المسلمات والمنطلقات والرؤى والتصورات، سواء كانت مبنية على أسس علمية أو نتيجة معارف قبلية أو أقوال متداولة منتشرة .

انطلاقا من ذلك ،وجب علينا طرح الاهتمام بالمعرفة التاريخية في المجتمع المغربي ،ومختلف تجلياتها ،ومدى التعاطي والتجاوب معها ،خاصة من فئة الشباب والطلبة الجامعيين الذي يعدون بدون شك عماد التقدم ومشتل الازدهار ومكمن الابداع .

فما هو موقع المعرفة التاريخية في مجتمعنا المغربي ؟

وما هي اهم الثمتلاث التي رصدت عليها ؟

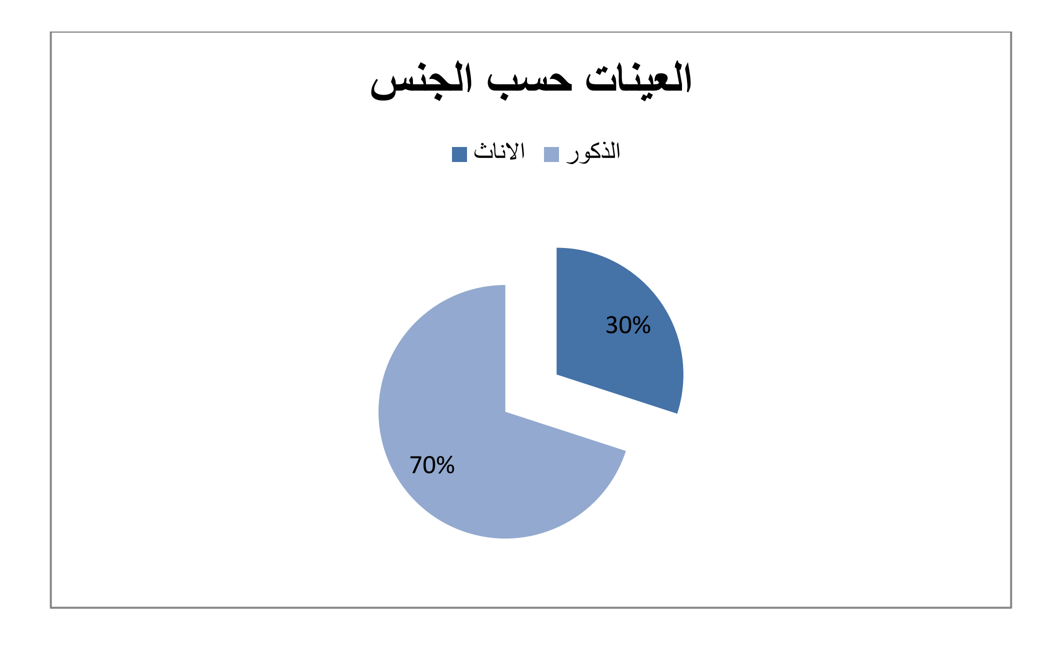
وكيف يمكن الرقي بها ؟

وما السبل والطرق من اجل بثها وضمان نجاعتها في مجتمعنا ؟

هي اسئلة وغيرها سنعمل على بلورتها ،من خلال الاعتماد على الاساليب الرقمية عبر تفريغ استمارات كانت عبارة عن أسئلة موجهة لفئات معينة ثم الاجابة عنها بكل عفوية فئة من الطلبة الجامعيين الذين ينتمون الى حقول متنوعة ومشارب مختلفة .

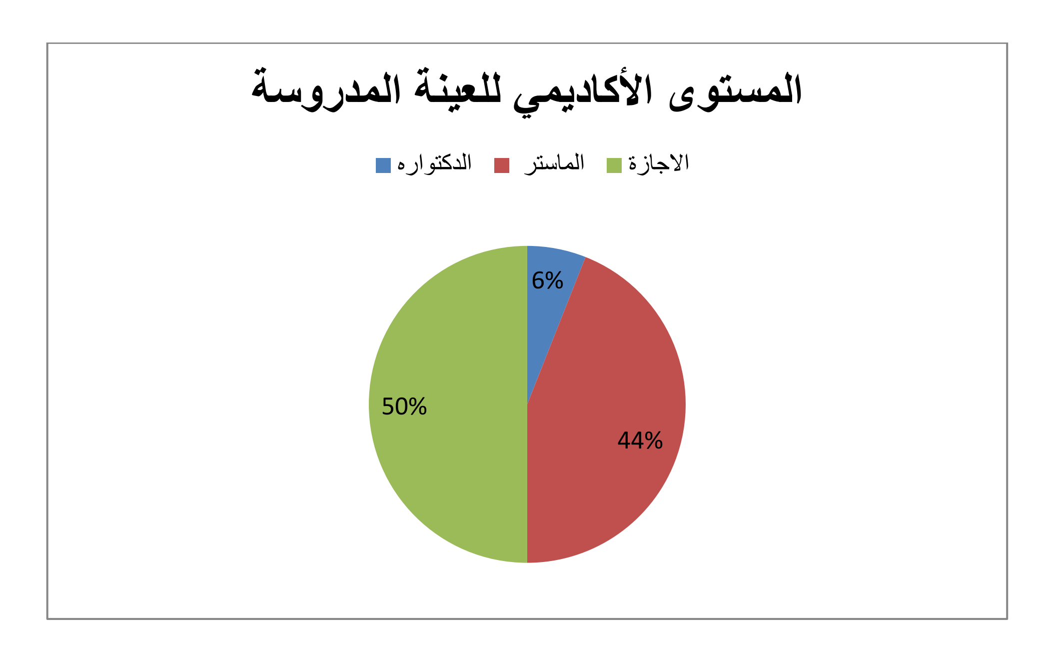
وتجدر الاشارة اننا اعتمدنا 50 عينة عبر تقنية الاستمارات الالكترونية التي تضمن الوصول الى اكبر عينة متنوعة ،وجاءت نتائج الاستمارات على النهج التالي :

-تفريغ الاستمارات والتعليق



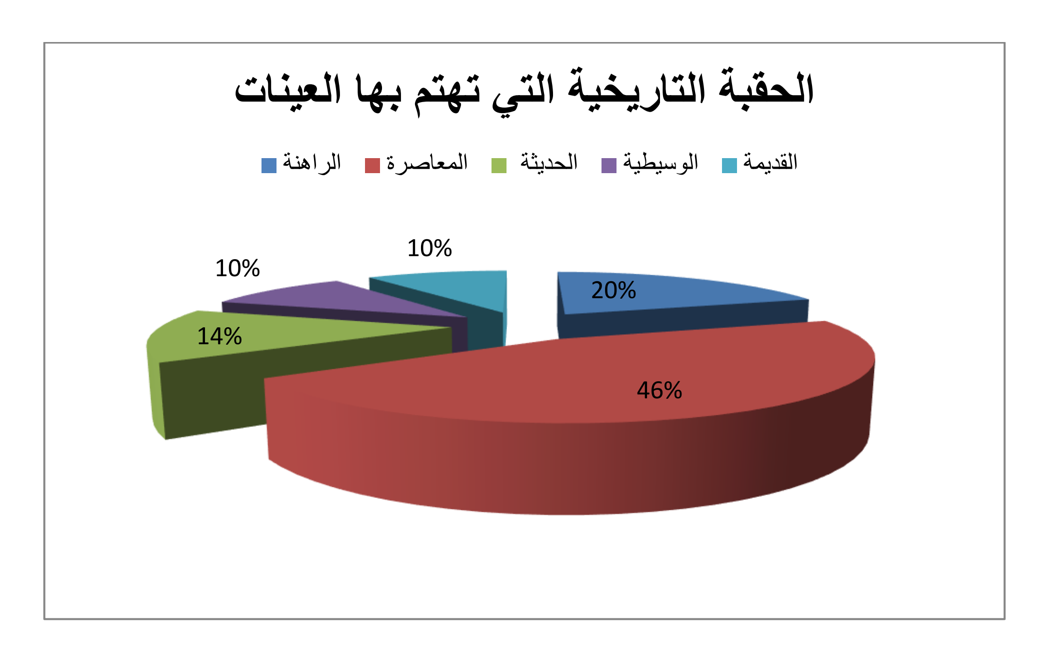
التعليق :

يبدو من خلال نتائج تفريغ الاستمارة ان العينة المسيطرة هي الذكور التي عكفت على تعبئة الاستمارة بنسبة متفاوتة مع الاناث التي لم تبلغ نسبتهم سوى 30 في المئة مقابل 70 في المئة من الذكور .ونرى ان ذلك لن يؤثر على التوجه العام للاستمارة والعينة المدروسة .



التعليق

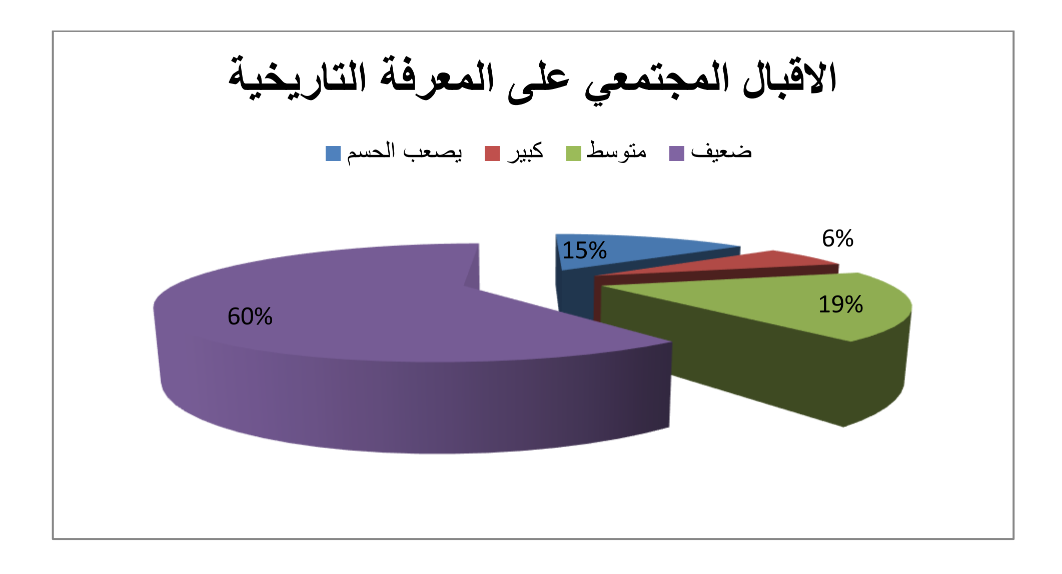
من أجل اعطاء الاستمارة طابعا علميا واكاديميا محضا ،كان تركيزنا على عينات من مستويات علمية جامعية ،تنطلق من سلك الاجازة الى مصاف الدكتوارة ،وقد حظيت الاستمارات بعناية متميزة تفاعلا وتعليقا من طرف الطلبة الجامعين ،حيت تم تعبئتها من بنسبة 50 في المئة من طرف حاملي شهادة الاجازة ،و44 في المئة من طلبة الماستر ،وما يربو عن 6 في المئة من الطلبة الباحثين في سلك الدكتوارة الشيء الذي اعطى نتائج تفريغ الاستمارة مسحة علمية متميزة في نتائجها ومخارجها واقتراحاتها وتصوراتها .



التعليق :

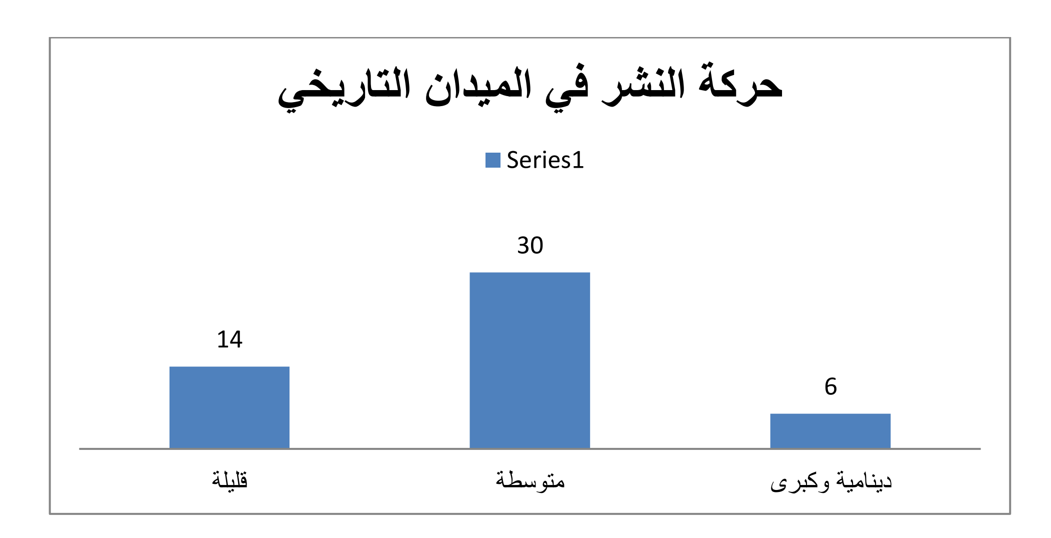
تختلف اهتمامات العامة والخاصة بالحقب والفترات التاريخية من القديم الى التاريخ الراهن ،وان كانت الفترات المعاصرة والراهنة تستهوي النفر الاعظم من الطلبة والباحثين ،نظرا لقربها من واقع الحال ،وكذا تشابك معطياتها مع الافرازات الحالية الوطنية والدولية والايديولوجية .

وهكذا عبرت نسبة 46 في المئة ان الفترة المعاصرة تستهويها ،بينما 20 في المئة تهتم بالفترة الراهنية ،بينما تفاوتات نسبة الفترات الاخرى ،التي تشهد تراجعا ملفتا وكبيرا في الاهتمام بها ،سواء من طرف المختصين في شعبة التاريخ والحضارة ،الذي اتجه سوادهم الاعظم الى الحقبة المعاصرة والراهنة ،أو المتلقي من شعاب اخرى بحيث يجد صعوبات منهجية ومعرفية في فهم تجليات المراحل الانفة الذكر نظرا لصعوبتها ،وغياب دراسة تعمل على تسهل مراده.



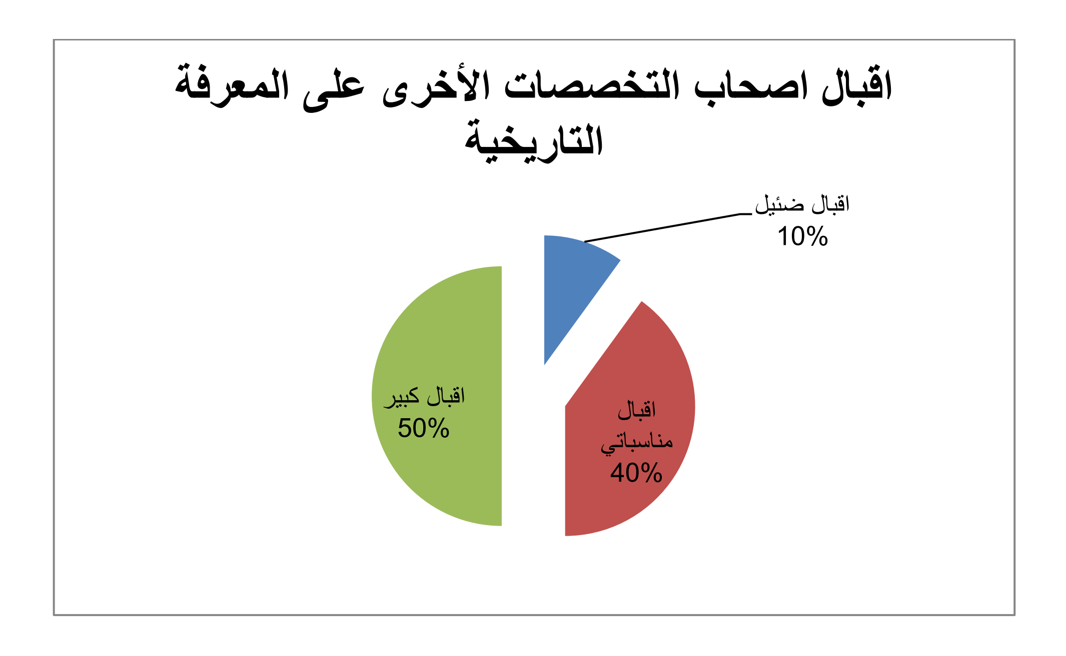
التعليق :

ان الاقبال المجتمعي على المعرفة التاريخية يبدو ومن خلال المعاينة انه اقبال شعبوي مناسباتي ،وهذا ما أكدته نتائج الاستمارات ،حيت اكد ازيد من نصف العينة المستجوبة ان الاقبال المجتمعي على المعرفة التاريخية يمتاز في شموليته بالضعف ،وهذا لا ينجلي فقط على المعرفة التاريخية وانما يشمل مختلف صنوف المعرفة العلمية نظرا لضعف والترهل الذي يعد من سمات الزمن الحالي ضمن فعل القراءة والاطلاع ،بينما عبرت عينات ضئيلة ان هذا الاقبال متوسط وعادي .



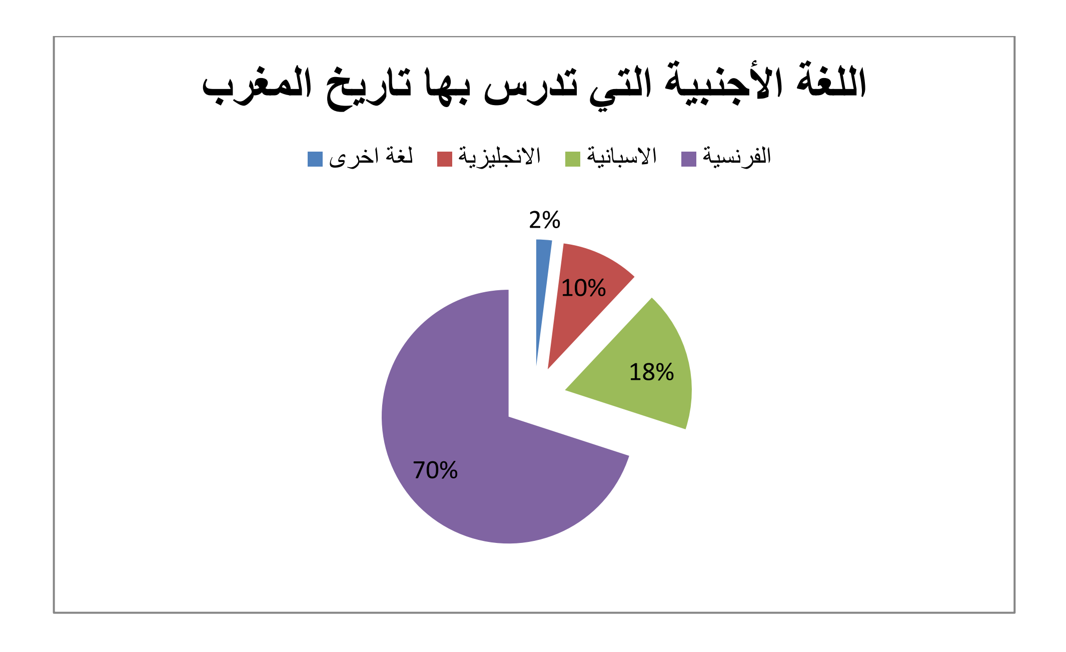
التعليق

لقد عرفت حركة النشر انتشارا واسعا ،واضحت الحوامل الالكترونية وسيلة جذابة لنشر المعرفة التاريخية من كتب ودراسات ونشرات ومقالات ودوريات ،وقد عبرت العينات المتكونة من 50 مبحوثا عن رأيها في هذا التجلي ،بحيث عبر 30 مستجوبا ان حركة النشر التاريخي متوسطة ،وأشار 14 منهم أنها قليلة ،بينما لم يعبر سوى 6 أشخاص انها دينامية وكبرى ،وعلى العموم فقد عرف الميدان التاريخي في الاوانة الحالية طفرة في عالم النشر ،خاصة من خلال احتضان مؤسسات رسمية لنشر عدة اصدارات تاريخية .



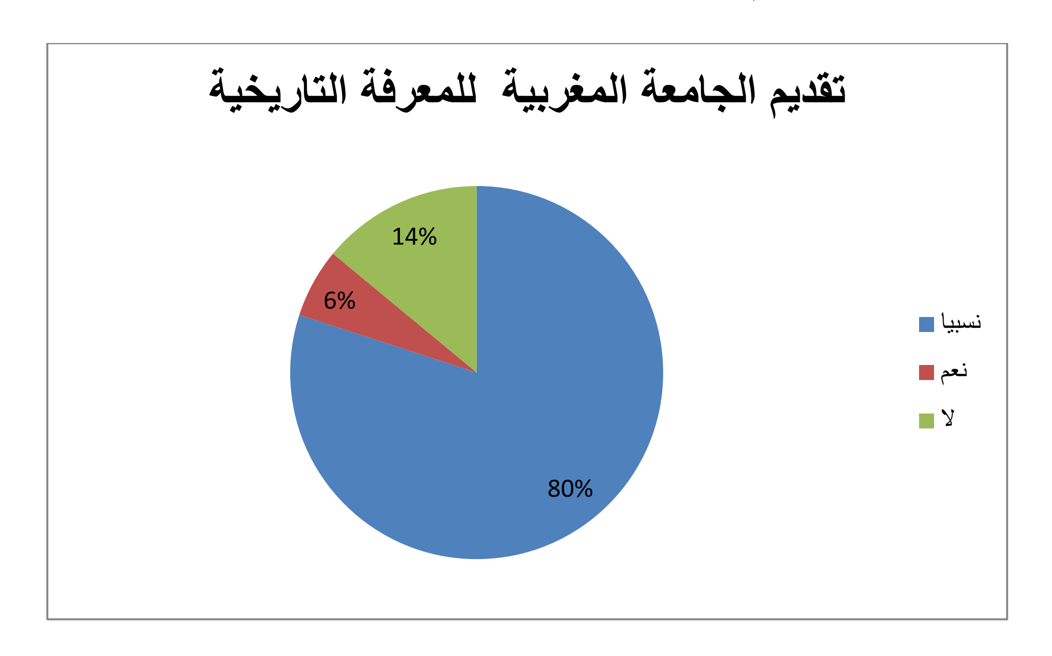
التعليق :

ان المعرفة التاريخية تنفتح على مشاتل معرفية أخرى عديدة ومتنوعة ،تنهل منها ،وتساهم الى جانبها في فهم عدة معطيات ونظريات ومسارات وتجليات ،خاصة منها التي تنتمي الى صنوف العلوم الانسانية ،وهكذا عبرت العينات المستجوبة والتي بلغت نسبتها النصف أن اصحاب المشارب والتخصصات الاخرى يقبلون على المعرفة التاريخية خاصة منهم الذين ينتمون الى حقل السوسيولوجية والعلوم السياسية باعتبار ان التاريخ يشكل كنه أساسي في مجالهم المعرفي بين عبر 40 في المئة ان هذا الاقبال يكون مناسباتي من خلال الاحتفال بالذكريات الوطنية ،واستجلاء بعض المحطات العامة التي تخدم طرحا ـاو تسند فكرة ،وعبر نفر قليل ان هذا الاقبال يتسم بالضعف والضحالة .



التعليق

لقد اثارت مسألة اللغات نقاشا مجتمعيا قويا ومحتدما ،بين منتصر للغة الفرنسية ،وراغب في مواكبة التطورات العلمية من بوابة اللغة الانجليزية ،وان كان الطاغي من الناحية التكوينية ،ومن تركيبة الانتجلنسيا المغربية،أن اللغة الاجنبية السائدة في المسارات العلمية هي اللغة الفرنسية ،وذلك ما عبرت عنه نتائج الاستمارات ،بحيث يدرس ما يربو عن 70 في المئة باللغة الفرنسية كلغة قراءة واطلاع ثانية ،بينما عبر 18 في المئة عن ان اللغة التي يبتغون البحث فيها ضمن دراسة تاريخ المغرب هي اللغة الاسبانية ،ومعظمهم من اهل المنطقة الشمالية ،التي لازال تأثير الاسبان فيها جليا وواضحا بحكم أن جل ما حبر عليها كان باقلام اسبانية ،بينما لم يفوق عدد الذين يقرؤون بالإنجليزية عتبة 10 في المئة .



التعليق :

تعد الجامعة مشتل أساسي للمعرفة ،ومركزا مهما لنشرها وبثها في صفوف الطلبة ،ويرى بشكل أساسي ان المواد ذات الحمولة التاريخية قليلة ونادرة في التخصصات الموازية لشعبة التاريخ والحضارة الا لماما ،وقد عبر 80 في المئة ان الجامعة تقدم معرفة نسبية ضمن المعرفة التاريخية ينبغي اكمالها بالتعمق والمعرفة الذاتية عبر الاطلاع على ما طفحت به حركة الطبع والنشر ،بينما عبر 14 في المئة ان الجامعة لا تقدم معرفة تاريخية اكاديمية ،بينما لم يتجاوز عدد الذي يرون ان الجامعة تقدم معرفة ضافية عتبة 6 في المئة .

أسئلة مفتوحة :

لقد ارتأينا وضع أسئلة مفتوحة امام العينان المدروسة نضع بعضها بحذافره حفظا للامانة العلمية :

هل المعرفة التاريخية ضرورية في تنمية الفكر الاجتماعي وخلق الحس المعرفي ،وبلورة المشاريع الاجتماعية التنموية؟

- بالتأكيد، لأن المعرفة التاريخية تبقى أساسية في فهم الواقع وتحولات المجتمع والسلطة والمجال

- بالطبع نعم، المعرفة التاريخية أساس بناء هوية وطنية قادرة على استيعاب الماضي ومحاولة فهم الحاضر واستشراف المستقبل.
- أبعد من ضرورية بل أساسية في البناء الصحيح للتنمية الراهنة والمستقبلية
- oui, je pense bien. Parce que le développement se crée d'une maniere logique et scientifique. Comme la science par exemple, si on veut arriver à prouver un théorie on aura besoin de l'expérimenter, l'histoire c'est comme des expériences qui vont éclairer le futur, et aideront à comprendre le présent..

ما هي الصعوبات التي تعترض انتشارالمعرفة التاريخية في المجتمع المغربي؟

- التمثل العام حول التاريخ وضعف القراءة في المجتمع وانخفاض مستوى الاهتمام المؤسساتي بهذا الحقل المعرفي
- يمكن إجمال الصعوبات التي تعترض انتشار المعرفة التاريخية في المجتمع المغربي فيما يلي– :
- الحقل التاريخي على غرار بعض الحقول المعرفية الأخرى غير جدير بالاهتمام من طرف المجتمع كون هذا الأخير مجتمع لا يهتم بالمعرفة بصفة عامة وأزمتنا هي أزمة قراءة— .
- ربما الحقل التاريخي يعالج قضايا مضت وبالتالي لا فائدة ترجى من دراستها والوقوف عندها حسب البعض
- – .وجود دراسات تاريخية أكاديمية موجهة فقط للمتخصصين في الحقل التاريخي في المقابل غياب دراسات تاريخية تواقة تستهوي القارئ وتجعله يخوض غمار الإبحار في المعرفة التاريخية.
- عدم توظيف السينما والمسرح في نشر المعرفة التاريخية في المجتمع (فيلم واحد يتناول تاريخ الدولة المرينية مثلا بشكل درامي يستطيع إماطة اللثام عنها أكثر من عشرات الكتب
- ضعف التكوين الدراسي لأغلب فئات المجتمع المغربي؛ احتكار المعرفة التاريخية في الأوساط الجامعية المختصة؛ النظرة الدونية التي يتعرض لها علم التاريخ في المجتمع. وفي الحقيقة هذه المشاكل تمس مختلف قطاعات العلوم الإنسانية

–كيف يمكن التغلب على هذه الصعوبات؟

- نشر كتيبات ومجلات حول التاريخ المغربي في متناول الجميع، بشرح بسيط وثمن رمزي إن لم يكن مجاني. تكثيف الأنشطة الثقافية مثل زيارة المتاحف والآثار وعقد مؤتمرات وندوات حول مواضيع تاريخية. إلا أنها حلول تبقى سطحية، لأن المعرفة التاريخية كغيرها من المعارف والعلوم الإنسانية يجب أن تكون ضمن تربية الطفل وتنشئته

- تبسيط المعرفة التاريخية وتقريبها للعموم، ومحاولة تقديمها بطريقة محفزة على الاهتمام، وتسليط الضوء على القضايا التاريخية الاكثر ارتباطا بتفكير العموم، خاصة تاريخ الإسلام من وجهة نظر نقدية
- إنتاج دراسات تاريخية تكون موجهة بالدرجة لعموم القراء وليس فقط للمهتمين بالشأن التاريخي —
- استغلال السينما والمسرح وتوظيفهما لنشر المعرفة التاريخية في المجتمع

على سبيل الختام :وجهة نظر خاصة .

من خلال احتكاكنا مع المعرفة التاريخية وجدنا أنها معرفة تتسم بمجموعة من الخواص الاساسية ومنها :

1- النظرة التشكيكية

إن المنهج التشكيكي امر سليم من الناحية العلمية شريطة ان يكون مسلحا بالأدوات العلمية اللازمة ،ولا ينطق عن الهوى ،وما هو متداول في المجتمع المغربي التشكيك الاعمى لكل الأحداث التاريخية ،لاسيما إن كانت مرتبطة بسياقات وطنية ،ورجالات المقاومة ،فتنتشر خطابات التخوين والتشكيك ،دون سند علمي ،أو إطار مرجعي يُستمد منه الخطاب.

2- النظرة الدونية

لقد حققت عدة دول ريادتها بفعل تاريخها والعناية بتراثها وجعله بوابة من أجل أنشطة مدرة لدخل،على اعتبار أن التاريخ ليس فقط ماضي فارط ،بل حاضر معاش ،ومستقبل مرجو حسب تعبير المستشرق جاك بيرك.

بحيث يعتبر التاريخ مادة أساسية ومرجعية مفصلية وأحد أدوات الهوية الوطنية يعتز به العامة والخاصة على حد سواء على عكس ما هو متداول في المجتمع المغربي- لاندعي التعميم - ،الذي يعتبر أن التاريخ لا ينفع البتة ،ولا يمكن أن نعيش على أطلال الماضي ،وهذا ما هو ملاحظ حيت ينفر منه العديد ،وذلك راجع إلى سوء منهجية تدريسه في التعليم الأساسي أو غياب وعي تاريخي ،أو نتيجة سوء فهم لم تنجح مؤسسات الوساطة (الجامعة ،المجتمع المدني ،الهيئات الوزارية المعنية)من تبديده.

3- النظرة الانتقائية

إن مجال التاريخ متعدد الأوجه ،ينظر إليه من عدة زوايا ،حسب المنطلقات ،وزوايا النظر ،وجرت العادة عند المجتمع المغربي أن يأخذ منه ما يساير أطروحة فكرية ،أو حادثة عرضية، أو بنية إيديولوجية تساير طرحا أو مشروعا أو منهجا.

ولنا في وقائع تاريخ المغرب الراهن نموذجا ،حيت ينتقي الجمهرة ،وقائع وأحداث تخدم أجندة معينة ،وتدافع عن أطروحات محددة ونذكر هنا صنف المذكرات ،التي طفت بشكل كبير في الآونة الاخيرة.